

الأقصى: رمق المدينة الأخير

يتجادل الزّمان والمكان على دورها في التاريخ. إن اتسعت رقعة الأحداث الجغرافية، يصبح المكان فضاءً بينما يَبْثُ الزمان بصمته يوماً وعماءً وقرناً. بالتّفال، كلما مرّ الزمان بعواصفه على وجه مكان واحد، يشدّ هذا المكان مكانته في قلب التاريخ. القضية الفلسطينية ملأى بصور حادة للأماكن، حيث أن بيروت أو عرّة ليستا اسمين لمدينتين بقدر ما هما عنوانان لفصول في كتاب تاريخ فلسطين. ولا يفترض بعبء المكان هذا أن يفاخر؛ إن تذكرنا أن قضيتنا، في نهاية المطاف، هي صراع على الأرض. هذه الملاحظة لا بدّ من أن تكون نقطة الإنطلاق حين نكتب عن القدس — المدينة التي تحوّلت إلى الفصل الأكثر جوهرية في قصّة فلسطين.

القدس بوابة الضفة الغربية، خاصرتها الناعمة التي تستطيع إذا ما شدتت عليها ياصبيك أن تقطع جنوب الضفة (من بيت لحم إلى الخليل) عن شمالها(من رام الله إلى جنين مروراً بنابلس). وهذه البوابة الجغرافية بين الأراضي المحتلة عام 1948 وتلك المحتلة عام 1967، هي كذلك بوابة انتقال الحدث السياسي من الصراع على حدود دولة الهزيمة، إلى الصراع على وجود الاستعمار على أرض فلسطين الكاملة كسلطة جوهرها الفهر. من جهة الإسرائيليين، فقد وصل شأن الدولة الفلسطينية، على أرض الواقع، إلى نهايته، وهم يعلمون، كما نعلم نحن، أن كل الخطوات الدبلوماسية التي اتخذتها القيادة الفلسطينية بشكل «أحادي الجانب»، إنما هي سير مستقل في غرفة وضع جدرانها الإسرائيليون. وبقيت القدس، منفذ النضال الوحيد الذي يمكن أن يخترق منه غرفة هزيمة 1967 الاسميّية، ويعود إلى الأرض كلها.

عزل الديني عن المدني

عربياً، طرّح نقاش جدّي وحاد على اثر العملية التي نفذها غسان وعديّ أبو جمل بسبب استهدافها كنيسة يهودياً. ومن دون التوقف عند وجهات النظر، حتّى تلك المستقرّة، فاهمية النقاش ثابتة بالأساس من أن هذا الحدث ليس عادياً، ويجب ألا يكون، كما هو ليس بعاديّ تدمير 203 مساجد خلال أقلّ من شهرين في عرّة، ولا كما كان عادياً اغتيال الشيخ أحمد ياسين على باب المسجد بعد خروجه من صلاة الفجر. لكنّ اشكالية النقاش في ارتكازه على ثنائية ديني/غير ديني واعتماده على نموذج غربيّ حديث يعزل فيه الديني عن المدني، متجاهلاً محور الحياة المدنيّة في حالة القدس حول اللاهوتيّ. واختلاط السياسي بالديني في القدس هو وليد الظروف الموضوعيّة للمدينة، وليس شأن صعود التدين والأحزاب الدينيّة فقط. وينتمي النقاش حول العمليّة إلى نقاش أقدم حول مكانة المسجد الأقصى في القضية الفلسطينية، وإن كان التركيز في النضال لأجل الأقصى يحول القضية الفلسطينية للخروج من أحياء الفقر المحاصرة مستوطن إلى الأقصى مشاعر الناس فيخرجوا إلى الشوارع بينما يسود الصمت إزاء أفعال المستوطنين في الخليل أو استيلائهم على عكا؟ هذه الأسئلة، التي تطرح من وجهة نظر وطنيّة علمانيّة، هي ضرورية، ولكنّ محاولة الإجابة عنها بإدعاء رمزيّة الأقصى فقط هي محاولة غير ناضجة ولا تفي بتسوية التناقضات في الموقف حول هوية القضية. الحقيقة، أن للأقصى والحرم الشريف أهمية بالغة على الجغرافيا أولاً، من حيث المسمى الإسرائيلي لتقسيم المدينة، وأهمية اجتماعية من حيث كونه محركاً للحركة الإقتصادية في البلدة القديمة.

تعاطي آخر فترات المدينة

تبلغ مساحة الحرم القدسي الشريف 15 دونماً تقريباً، وهو يشكّل حُصص مساحة القدس العتيقة المحاطة بالأسوار. الحرم صدر البلدة القديمة، منه وإليه تُرْفَد حركة الناس في السوق المحيط الذي تعيش من رزقه آلاف العائلات القدسيّة وتتركز فيه الحركة الإقتصادية والإجتماعية وحركة السياحة، بما في ذلك حجّاج كنيسة القيامة. أي أن الحرم يشغل إلى حد كبير محرك حياة المدينة في البلدة القديمة.

بالقابل، يعيش في القدس أكثر من 350 ألف فلسطينيّ موزعين في أشلاء القدس على قرى وأحياء تحوّلت جراً خفقا، ومصادرة أرضها، وشقّ الشوارع حولها وعبرها، وانعدام أي تخطيط لمصلحتها.. إلى غيوتها فقر وبؤس تضربها الجريمة والعصبيّة الحليّة وغيرها من آفات التغيير. 75 في المئة من سكان القدس تحت خطّ الفقر، 85 في المئة من أطفال القدس تحت خطّ الفقر. وهؤلاء المخنوقون في قراهم المحاصرة التي فقدت أي إمكانيّة للتطور، وتكدست بيوتهم فوق بعضها من دون إمكانيّة نشوء أي حيزٍ مدنيّ اقتصادي، لم يبق لهم غير البلدة القديمة

أعوذ بالله من كلمة أنا!

إذا ألقينا نظرة شاملة، وفي لقطة واحدة، على المنطقة بين المحيط والخليج، فإذاً نرى؛ إذا اعتبرنا أن التاريخ محطات، فما اسم المحطة التي تعطلت حافلتنا فيها الآن؟ كيف نصف المرحلة التي نعيشها؟ الظاهرة الأبرز هي داعش ومشتقاتها. تُوهنا الغيوم فوق الشام والعراق أن الظاهرة تجري هناك فقط. لكن الحقيقة أن اليوم توجد في كل المنطقة، في المغرب، وهو الأقصى عن بؤرة الصراع، تتم يومياً تبعية الشبان للجهاد. الدولة الغربية تعقل بتوسع وتنزل الجيش للشارع لأول مرة خذرا من مخاطر جدية محتملة.

كيف ولدت داعش في المنطقة التي جاء منها «البعث»، أقوى حزب علماني عربي؛ كيف ولدت في الشام والعراق الذي يعرف مثقفوه في معجم ديوموفراطي حداني لا صلة له بالأرض العشاريّة التي يقفون عليها؟

ما هي داعش؟ يسود جوابان؛ إنها فوضى خلاقة ستخلق التغيير وتقل المنطقة نحو المحطة التاريخيّة التالية. أيضا تحقيق حلم الخلافة الذي شادت به الحركة الإسلامية منذ نشأتها. الخلافة التي ستطبق شرع الله وتوحد الأمة وتعيد للإسلام مجده الذي أهدرته الدويلات العلمانيّة المارقة والمائلة للغرب الكافر. من لا يريد العرّة لإسلام؟ كيف يتم إقناع آلاف المغاربة بالذهاب للقتال في سوريا؟ باسم عرّة الإسلام.

والنساء.. كل المحاربين يقاثلون من اجل الدين ولا واحد يحارب من اجل الأرض والغنائم والنساء، وشدة الوحشية دليل على الإيمان بالجهاد.

كل الذين حاورتهم يوافقون على ذلك الحلم ولا يرون نتائجه. لذا أستنتج أن مئات ملايين المسلمين لديهم هذا الحلم. في المهفي حيث أكتب وأتلصص، أسمع حديثا مستمرا عن داعش. أستلهم توجيهات أب السيوسبولوجيا أوغست كونت لملاحظة الظواهر وتفسيرها، حين قال بأن المجتمع الغربي مر من المرحلة اللاهوتية والميتافيزيقية الى المرحلة الوضعية التي يهيمن فيها استخدام الأساليب العلمية لدراسة الظواهر، بما فيها المجتمع. اعتبر نفسي بملت المرحلة العلمية وأقارب الظاهرة الدينية من خارجها.

استخدم التلصص كوسيلة لضبط الأسئلة. كل الذين حاورتهم لديهم ذلك الحلم، وبعضهم يضيفون «لكن» ليبنوا أنهم يجادلون في التفاصيل فقط. بمعنى أن الحل الديني هو الوحيد الذي سيقفنا. ومن هنا أستنتج أن مجتمعنا يعيش المرحلة اللاهوتية. ما هو الدليل على صحة هذه الفرضية؟ ما هي تجليات هيمنة الدين على الحياة اليومية؟

في هذا الخريف تأخر المطر. ما أوحجنا للمطر. لكن متى؟ ما السبب؟

15 | 1

«جثة في سجن أو من شبك»، عن المعتقلين والمنتحرين في مصر، وتجاهلهم كفعل إذلال لهم .. لسواهم. وعن الإنتخابات التونسية: «انهزم الإسلاميون فهل تنتصر الثورة؟».

15 | 1

الغرض السياسي من وراء مبالغة الجزائر في الإحتفاء بإنشاء شركة «رينو» الفرنسية لصنع تجميع لسياراتها في البلاد. وعن «غرام الدولة المصرية بممتلكاتها» ومعنى تفضيلها على البشـر.

«معنى الحرية ومجازاتها»، يستعيد ظاهرة الفكر الحلبي، العربي/الإسلامي، عبد الرحمن الكواكبي.. بما يخص اليوم. وكاركتاير العراقي خضير الحميري يقول إن الواقع ليس افتراضياً.

4

3

2

الملك داود مرّ من هنا..

أسلوب آخر، ولعله الأكثر استخداماً، في تقطيع أوصال التجمّعات العربيّة في القدس هو ما يسمّى «الحقائق القوميّة»، وهي مساحات شاسعة من المتنزّهات التي يشيدها الإسرائيليون بكميات ومساحات لا تمت للمنطق بصلة، وهي بالنسبة تشبه بشكل كبير تشييد الغابات، وهو أسلوب يستخدمه الإسرائيليون في النقب، مثلاً، لدينا «الحديقة القوميّة» التي تطلّق أسوار البلدة القديمة وتصادر 1.100 دونم من وادي الجوز والشيخ جراح وكذلك مناطق سكنيّة من حي سلوان، ما يعني أن بيوتاً سيتم هدمها من أجل إقامة متنزه، ومتنزه آخر ستمتم إقامته على 730 دونماً من أراضي العيساوية والطور، لأن الرواية تقول أن الملك داود قد مرّ من هناك.

ما علاقة ذلك بالمسجد الأقصى؟ انه العصب الأساسي للسيطرة على البلدة القديمة وتهويدها، وبالأذا البلدة القديمة بالذات؟ لأن طرح «القدس الموحدة الكبرى» يعرف مساحة القدس على أنها دائرة نصف قطرها 20 كيلومتراً، ويكون مركزها البلدة القديمة، والأخيرة هي نقطة الوصل والربط بين التجمّعات الفلسطينيّة في المدينة من رأس العمود وسلوان جنوب المبلدة القديمة والشيخ جراح ووادي الجوز والعيساوية شمالها.

إن الفارق الذي يشغله الحرم القدسي الشريف كعصب مركزي في البلدة القديمة هو أنه يضيف بعداً للصراع في القدس، وهو الصراع على الحيز المدني الشرقي الذي يشغل فيه «الحرم» المدني محوراً مادياً يتحرك حوله المجتمع، مقابل رغبة إسرائيلية في بناء مدينة حديثة نقيّة من العرب يكون مركزها التاريخي في البلدة القديمة متحفاً ميثاً يروي تاريخاً مزيّفاً لمدينة يهوديّة موحدة وكبرى.

بوابة الانتقال من «الدولة» إلى الحقّ

إن فهم مكانة المسجد الأقصى المدنيّة بالنسبة للقدس، وأهمية القدس كمدينة وفصل تاريخي في القضية الفلسطينية، هو الأداة لحل التناقض بين الديني والعلماني في النضال الفلسطيني.. وجرة تمسك العلمانيين بدورهم في القدس. هذا ما يقودنا إليه نقاش عملية الكنيس. حين رأينا أن الشبان المنقذين ينتمون إلى الجبهة الشعبيّة لتحرير فلسطين.

لقد حطّم الإسرائيليون كل تنظيم سياسي رأى النور في القدس، رفضوا أي وجود حتّى للسلطة الوطنيّة، أغلقوا المراكز الثقافيّة والنوادي، ضربوا بيد من حديد وسحقوا جهاز التعليم ليحرموا الشبان من العلم والنقاة. هكذا، ظنّ الصهاينة أنهم يستطيعون القضاء على نضال المقدسيين من أجل حياة كريمة على أرضهم كاملة. لم يفهموا بعد، ويبدو أنهم لن يفهموا . فالغباء صفة تلازم انعدام الأخلاق . أن ضرب التنظيم السياسي لن يؤدي إلا لأشكال جديدة من المقاومة تلتظف الهرميّة ويكون الفرد فيها سيد نفسه وقراره، قتعجز أجهزة المخابرات عن تتبعه، ويصبح السلاح بمتناول ايدي الجميع: سكيناً أو قانساً أو سيارة. وإن حرمان الناس من النقاة لن يمكّتهم من تجاهل الظلم والبؤس والاحتلال، لكن مبادئ القانون الدولي الإنساني قد لا تتسلمه وسبكيون «المدني» والعسكري واحدا بالنسبة لهم. هل يستمرّ الإشتباك؟ هو لم يتوقف أبداً منذ احتلال القدس، لكنه يخفت ويعلو، المجتمع وحده يحدد مقرّته على الصمود. ويحدد بالتالي وتيرة الإشتباك.

القدس بوابة الانتقال السياسي للثورة الفلسطينيّة، تلك المتعرّة الجميلة المنبعية العنيدة، من الضفة الغربية إلى داخل الأرض المحتلة. من النضال لأجل دولة فلسطينيّة، إلى النضال من أجل حقّ إنسانيّ ضدّ نظام قهر عنصريّ. نضال القدس بدأ يدفع الإسرائيليين للتخطيط بين تناقضاتهم، يقتضون عن حلول لأزمة جدية في جوهر نظامهم السياسي. تاجيح هذه الأزمات وحده هو الطريق من خارج النظام إلى داخله، عمقه وجوهره، وإنهاكة واستنزافه إلى أن ينهار انهاراً شاملاً.

مجد كيّال

كاتب فلسطيني من حيفا



«ياقون» للفنان الفلسطيني نبيل عناني

التي يسكنها أقل من 10 في المئة من فلسطيني القدس. الصلاة في المسجد الأقصى، وهذه حقيقة لا مفرّ منها، هي السبب المادي الوحيد الذي لا يزال يدفع عشرات آلاف القدسيين للخروج من أحياء الفقر المحاصرة للوجود داخل الأسوار وتعاطي آخر فترات المدينة.

عماق القدس الأكبر

لا يطرح الاستيلاء على الحرم الشريف وحده، لكنّه يأتي في سياق سيطرة صهيونيّة متفاوتة على الأملاك في القدس، خاصة في البلدة القديمة ومحيطها. لا يدخل الإسرائيليون بأي من الأساليب المسيطرة: أخذ البيوت بقوة السلاح، تزوير المستندات، واستخدام السماسرة العملاء.. وضع السيطرة على الحرم، حتى لو كان ذلك باقتطاع وقت محدد لليهود وآخر للمسلمين، في سياق استيطاني أوسع للباطلة يجعلنا نرى الصورة واضحة: تحويل البلدة القديمة من فضاء مدني عربي إلى فضاء فيه حركة

متوازنة بين العرب واليهود توفر حجةً أمنيّة لتقسيم البلدة القديمة وتطبيق فصل قومي واضح فيها بالأوقات والمناطق والطرقات. لماذا؟ ليس الأمر محاولة لتهويد التاريخ فقط، ولا هو شأن ديني فحسب، لكننا حاجة تخطيطيّة عنصرية ماسّة تنبّث بفشلها الرؤيّة الصهيونيّة للمنطقة. حجة اسمها: توحيد القدس.

حين يقول الإسرائيليون «توحيد القدس»، فالتطبيق الفعلي لذلك هو جعل كل المستوطنات اليهوديّة المحيطة بجميع أطراف القدس، غربيّة كانت أم شرقيّة، امتداداً جغرافياً يهودياً واحداً تحت سلطة إسرائيليّة نحو الأصول النقيّة يجري بإدوات لا تلائم السياق التاريخي. يتم ابتلاع مجرّأة ومفضولة ومحصورة داخل عملاق «القدس الكبرى»، بينما تبقى بعض التجمّعات العربيّة الأخرى خارج منطقة نفوذ المدينة بما يضمن ألا يتعدى الفلسطينيون في المدينة نسبة 30 في المئة من سكانها. وصل الإسرائيليون المستوطنات ببعضها البعض عبر مركز المدينة ضمن

على نسق ديني، ذاكرة تلتن منذ الصغر، في المنزل والمسجد.. منذ السنوات الأولى للطفل ينتشر عصابة هذه الذاكرة كحقيقة مطلقة.

الذاكرة الجمعية دينية، فهي خزان السلوكيات الصحيحة التي على الفرد إتباعها بشكل دائم. ذاكرة مبنية على الإحساس وليس على العقل.

بسبب هذه الذاكرة وهذا الإحساس، يصير الشخص على الرجوع لأصول لحل مشاكل العصر. جميل. لكن هذا النكوص التاريخي نحو الأصول النقيّة يجري بإدوات لا تلائم السياق التاريخي. فمشاهد الذبح تخير الرعب. إنه الإترماء الأعمى في الماضي من طرف مجاهدين يسيطر عليهم الحنين للدين النقي الاترياحي، لذلك يقاثلون لتحقيق حلم الطهرانيين.

الغريب، تزايد هيمنة اللاهوت بالتزامن مع استفحال الأزمات. تهدمت الأساقق التقليدية مثل الأسرة والقبيلة وبقي الدين قويا. عناصر الاستمرارية فيه كثيفة. لا سبيل لحو الطولية، يوجد حل. يعتبر الناس أن الإسلام الحقيقي هو الحل الوحيد لكل مشاكلهم الاقتصادية والاجتماعية التي خربت الأخلاق وأفسدت النساء. النساء خاصة، الجواب على الأزمة هو طموح مثالي ديني. هو السقوط في أحضان اللاهوت بشكل أعمى. اللاهوت ملاذ وملجأ. المرحلة اللاهوتية تتمدد لتبتلع ما بعدها.

لذا نعيش في مرحلة ما قبل «العلم»، مجتمع ما قبل «الكوجيتو»، هذا المجتمع الذي نشأ بعد حرب المئة عام الدينية في أوروبا بين 1337—1453. تفرض الحروب الدينية على الأديان أن تتحطم أو تُصلح نفسها بإدخال النزعة الإنسانية فيها. لذا عرفت أوروبا حركة الإصلاح الديني 1517 ثم ولد الكوجيتو في 1641: «أنا أفكر إذن أنا موجود». أي لن أسمح لغيري أنا أن يفكر لي. دون أعوذ بالله من قول أنا.

يبدو أن هذا هو هدف إطلاق الفوضى الخلاقة المتعمدة في 2005!

وما هي أرباح الفوضى الخلاقة؟ لقد سرعت الفوضى الخلاقة التاريخ في المنطقة لتساعدنا على تجاوز حربينا الدينية. على فرض تشابه الراجل التاريخية بين الغرب والشرق الذي ولد فيه الدين دون نقد الدين. هذا تصور خطي للزمن التاريخي.

تشمون راحة الميكافلية في الجواب؟ تعترضون على الخطية؟ الاعتراض سهل، فإماذا تقترحون؟ طيب تقترحون أن يكون الزمن التاريخي دائريا أم حلزونيا؟

في جميع الحالات هو محطات، ويبدو أننا علقتا في محطة قديمة بلا كهرباء، يجب أن نتجاوزها إلى محطة متنورة. أنا أريد الأنوار.

محمد بنغريز

كاتب وسينمائي من المغرب

ملف

انتخابات تونس

انهزم الإسلاميون، فهل تنتصر الثورة؟

تصدّر خير هزيمة الإسلاميين في تونس بالانتخابات التشريعية في 26 أكتوبر/تشرين الأول الماضي، ممثلين بحركة النهضة ذات الأصول الإخوانية، أمام حزب «نداء تونس»، الصفحات الأولى لجل الجرائد العربية والغربية، وهو خبر هام بحق. فلأول مرة في التاريخ السياسي العربي الحديث ينهزم الإسلاميون في انتخابات حرة أمام منافسين «علمانيين»، لكن كيف حصل ذلك؟ وما الذي يمكن أن تعنيه هذه النتيجة من تداعيات داخلية، وماذا عن إبعادها الإقليمية؟ وكيف تبدو آفاق الانتخابات الرئاسية التي تجري دورتها الأولى نهاية هذا الشهر؟

بلاذ خسر الإسلاميون؟

نجح الباجي قائد السبسي، الوزير السابق في عهد بورقيبة والرئيس الأول للبرلمان في عهد بن علي، في أن يقدم نفسه كـ«أمل للخلاص والتغيير» لجزء هام من المجتمع التونسي وذلك رغم تقدمه في السن (89 عاما). إذ توفّق في جمع شتات الجزء الأهم من كوادر ورجال أعمال نظام بن علي وحزبه المنحلّ، «التجمع الدستوري»، ممن لم يختاروا الانضمام لحزب النهضة وقيّة الأحزاب «الدستورية»، وحدّ في حزبه ذلك من تضرروا من الثورة بالإضافة للبرابيين ونقابيين ويساريين سابقين يشتركون في خوفهم من المشروع «الرجعي» لحركة النهضة (ومن مظهراته مسودة مشروع النهضة للدستور، التي تضمنت الشريعة الإسلامية كمصدر للتشريع»، وبعث مجلس أعلى إسلامي). وإلى جانب الكاريزما «البلدية»، العتيقة للسبسي (كابن برجوازية مدينة تونس القديمة وبعض ضواحيها الشمالية)، كان أكثر ما ساعد الرجل من أخطاء وإخفاقات حركة النهضة. وأهمها: ضعف الكفاءة، والعجز عن تقديم أجوبة شافية على المطالب الاجتماعية، وتساهلها الكبير مع التيارات السلفية في النصف الأول من فترة حكمها. وكذلك تهميش النهضة لحليفها في «الترويكا» الحاكمة، حزبيّ «المؤتمر من أجل الجمهورية» و«التكتل من أجل العمل والحريات».

ثلاثة أسباب أخرى تفسّر خسارة النهضة، الأولى. طبيعتها المحافظة سياسيا، التي جعلتها تفضّل عند استلامها الحكم محاولة استمالة قواعد حزب بن علي وكوادر منظومته الأمنية والقضائية والإدارية، على محاسبتهم وتطهير الدولة منهم. وبالتالي مع ذلك، سمحت لهم بتأسيس أحزاب وأفرج عن وزراء ومعاونين بارزين في عهدها. تحوّل البعض منهم إلى مرشّحين رئاسيين في الانتخابات الحالية. ولم تنجح النهضة في مساعيها المتأخّرة لحاصرتهم جماهريا وقانونيا، بعد أن فوجئت بالقدرة الأكبر لحزب نداء تونس على استمالة كوادر النظام السابق وعلى مواصلة تهييل مصالح برجوازية العاصمة والساحل، والاحتفاظ بدعم القاعدة الاجتماعية التقليدية للحزب الحاكم منذ الاستقلال.

وبازدياد الاستياء الشعبي من سياساتها الفاشلة، وعلى وقع زلزال اغتيال القيادي اليساري شكري بلعيد في شباط/فبراير 2013، وتعاطف خطر الإرهاب، بدأت النهضة تحاول تهدئة غضب الشارع والحراك الاجتماعي المتصاعد.. بمحاولة التوافق مع غريما الأقوى، نداء تونس. فتراجعت عن سياسة العنيفة لخصومها التي استخدمت فيها «روابط حماية الثورة» المالية لها، وتخلّت عن سن قانون «تحصين الثورة» الذي كان يهدف إلى منع «أزلام نظام بن علي» من النشاط السياسي، كما عارضت وضع سقف لسن المرشّحين للرئاسة في الدستور، ما سمّح لقائد السبسي بالترشّح. وازدادت تراجعا بعد توحد المعارضة ضدّها إثر اغتيال النائب القيادي بالجيعة الشعبية محمّد البراهمي في 25 تموز/يونيو 2013. إذ اضطرت إلى قبول التسريع في إنهاء المرحلة التأسيسية وكتابة الدستور أثناء «الحوار الوطني» الذي رعاه أساسا اتحاد الشغل واتحاد الأعراف (إرباب العمل والمهن والرفاهية) وبمباركة غربية.

السبب الثاني، هو الحرص الواضح للدول الغربية المؤثرة، تحديدا الولايات المتحدة وفرنسا والمانيا. على أن تكون تونس «النموذج الديموقراطي» الناجح في المنطقة، وهو ما يفترض وجود توازن بين قوتين سياسيتين كبيرتين تحت سقف شروط المنظومة الليبرالية العولمة. أما السبب الثالث فكان تداعيات تغيير المشهد الإقليمي، وتحديدا سقوط الإخوان المسلمين في مصر وتراجع سيطرة حلفائها في ليبيا، والصعوبات التي واجهها مؤخرا حليفها في أنقرة والدوحة. وأفضت هذه العوامل الثلاثة (وغیرها) إلى اقتناع قيادة النهضة بضرورة ترك الحكم منذ عام، في كانون الأول/ديسمبر 2013، والقبول بحكومة «تكنوقراط» محايدة سياسياً، ترأسها مهدي جمعة المدعوم من سفراء الدول «الثلاثي» ومن اتحاد الأعراف، كلّف بقيادة البلاد حتى تنظيم الانتخابات الحالية.

وعلى خلفية هذا المشهد، عرف حزب نداء تونس كيف يستثمر أجزاء الخوف من «الإرهاب» والجنين إلى «الأمن والاستقرار الضروريين لعودة الإخوان المسلمين في مصر وتراجع سيطرة حلفائها من حكم «الترويكا». فنجح في إقناع الكثيرين منضم بحخطابه عن «استعادة هبة الدولة» والمحافظة على الإرث الحدائلي البورقيبي والنمط المجتمعي التونسي». كما استفاد في ذلك من الملكية الحزبية والانتخابية القوية التي ورثها عن حزب بن علي المنحل.



زبير التركي- تونس

ذويان «الوسط» والشرح الجهوي

أثبتت الانتخابات الأخيرة مدى تقافم حالة الاستقطاب الثنائي الحادّ الذي عرفته البلاد في السنتين الأخيرتين، بين حزبي نداء تونس، والنهضة. إذ مال أغلب ناخبي المعارضة إلى خطاب الجسم مع الترويكا، ونجحت دعوات نداء تونس إلى «التصويت البعيد» لصالحه في استقطاب الألفية الساحقة لتانصري الأحزاب «الحداثيّة». أما حركة النهضة فعلى الرغم من فقدان نصف مليون صوت مقارنة بالانتخابات السابقة (في بلد تعداد سكانه 11 مليونا أو بكاد، وتاخبه المسجلين أكثر قليلا من 5 ملايين)، فهي نجحت في المحافظة على كتلة انتخابية صلبة تقارب المليون صوت. إلا أن ما لفت الانتباه هو «الشرح الجهوي» الذي بدا واضحا في نتائج الانتخابات، إذ صوتت الشمال والساحل بكثافة لصالح نداء تونس، ولايات الجنوب لصالح النهضة، فيما كان حجم التصويت لهما في ولايات الوسط متقاربا.

وكان من نتائج حالة الاستقطاب الحاد الانسحاق شبه التام لأحزاب «وسط اليسار» و«وسط اليمين». بل أن أحزاباً عريقة مثل حزب المسار (الوريث التاريخي للحزب الشيوعي التونسي سابقا) وحزب التكتل (بقيادة مصطفى بن جعفر رئيس المجلس التأسيسي) وحزب المؤتمر (بقيادة الرئيس الحالي النصف المرزوقي) دفعت غالبا ثمن تحالفها؛ مع المعارضة مع نداء تونس بالنسبة لأول، وفي السلطة مع النهضة بالنسبة لآخرين. وكذلك كان حال الأحزاب التي تميّزت بتذبذب مواقفها، وحاولت بخطابها «المعتدل» التوفيق في منتصف الطريق بين قطبي المعارضة والسلطة. وهو ما حصل مع الحزب الجمهوري بقيادة أحمد نجيب الشابي، المعارض البارز السابق لبن علي، والتحالف الديمقراطي بقيادة محمّد الحامدي.

وحدها الجيعة الشعبية (تحالف لأحزاب يسارية وقومية) نجحت في الصمود والبروز كقوة سياسية ثالثة ومتميزة عن حزبي نداء تونس والنهضة. فعلى الرغم من أنّها جاءت بعيدة خلفهما بـ 15 مقعدا، وثلاثة مقاعد لمستقلين قريبين منها، إلا أن أحزابها نجحت، على عكس بقية الأحزاب التي شاركت في الانتخابات تلك، في رفع عدد مقاعدها وفي عدم خسارة نسبة كبيرة من المصوّتين لها. ولا شك في أنّ التحالف اليساري استفاد من صيغة «أكبر القبايا» في النظام الانتخابي، التي تعطل مشهداً برلمانيا أكثر تنوعاً، إلاّ أنّ هذا النجاح النسبي يدلّ بالأساس على أنّ جزءاً هاما من التونسيين أراد مكافأة الطرف السياسي الذي استهدفه الإرهاب رأساً، والذي كان الأندرس في تصديهِ لحكم النهضة.

ما يلاحظ أيضا هو العزوف الكبير عن المشاركة في الانتخابات (صوّت 3 ملايين و266 ألفا من 5 ملايين و285 ألفا مسجّلين، ومن جملة 7



ملايين تونسي بلغوا سنّ الانتخاب). وهو ما يدلّ على حالة الإحباط الواسعة التي يعيشها التونسيون بعد أن بعثت فيهم الثورة أملا كبيرة. وكذلك الصعود المأجئ للاتحاد الوطني الحرّ، حزب رجل الأعمال الشاب سليم الرياحي، الذي تحوّم شبهات حول أمواله الطائلة التي جمעה أثناء إقامته في ليبيا قبل الثورة.

الانتخابات الرئاسية:

حسم المعركة أم فرض التوازن؟

رغم الصلاحيات المحدودة نسبياً للرئيس في الدستور الجديد، إلاّ أنّ وضع اليد على هذا الموقع يعرّفه رهانا بالغ الأهمية بالنسبة للمرحلة المقبلة. إذ لم يتحوّل التداول السلمي على الحكم إلى تقليد راسخ بعد، كما أنّ هناك حالة من الخوف وانعدام الثقة المتبادلين، خاصة منذ بدء عمليات الإغتيالات، فجزء من المعارضة يتهم حركة النهضة بالتواطؤ مع الإرهاب، وليس بالمسؤولية السياسية عنه فحسب، فيما تخشى قواعد النهضة من «تفوّل» حزب الباجي قائد السبسي، إذا وصل إلى رئاسة الرئاسة، ومن أن يعيدهم «الاستتصاليون» داخله إلى السجون. كما أنّ أهمّ صلاحيات الرئيس، الذي يُنتخب بالاقتراع العام بالبلّش، يضبط سياسات الأمن القومي والعلاقات الخارجيّة، وله كذلك الحقّ في حلّ البرلمان. ولعده الأسباب، يبدو الأمر كلعبة شطرنج معقدة. فحركة النهضة، التي لم ترشّح أحدا للرئاسة، (وفاة لعهد قلمة في الفترة السابقة حين كانت في السلطة، وذلك كجزء من التسوية الاخيرة ولطمأنة خصومها والناس إلى أنّها لا تتطلع للهيمنة، ما تزال تأمل في إمكانية تشكيل تحالف حكومي مع نداء تونس. وهو ما جعلها تحجم عن دعم ترشّح المرزوقي، وتترك حرية الاختيار لقواعدها. إلاّ أنّ جلّ المرابيين يعتقدون أنّ قرارها ذلك يعني دعماً ضمّنياً لحليفها الأوفى ذاك دون المجازفة باستعداد قائد السبسي المتعشّن لدخول قصر قراجاج. قائد السبسي والمرزوقي يتنافسان على الرئاسة، وقد حاز الأول على 39 في المئة من الأصوات بينما حصل الثاني على 33 بالمئة، وأما حمه السهامي، المعارض اليساري لنظامي بورقيبة وبن علي، فدخل كمنافس ثالث إلى سباق الرئاسة ونال 8 في المئة من الأصوات، وكل ذلك عزز من خاصية التنوع وخفف خصوصا من غلواء الاستقطاب السابق، وستجري دورة ثانية من الانتخابات الرئاسية بعد شهر.

<div></div> عسّان بن خليفة
<div>صحافي وباحث من تونس</div>

العربي السفير

500 ألف هو حجم العجز السنوي في مصر في عدد الوحدات السكنية، بعد ارتفاع أسعار العقارات بنحو 20 في المئة خلال الشهرين الماضيين بحسب ما أعلن وزير الإسكان المصري، الذي أشار إلى أن قطاع العقارات يمثل ما يتراوح بين 15 إلى 20 في المئة من إجمالي الناتج الإجمالي للاقتصاد المصري.

مواقع / إصدارات

المركز العربي للتخطيط البديل..

مقاومة بالدونمات

عمل «المركز العربي للتخطيط البديل في فلسطين» مقاومة. وضع الإسرائيليون قوانينهم لشريعة تعدياتهم ومصادرتهم للأراضي الفلسطينية، وعلى ذلك يغلقون الأمر بمبررات تقدم هذه الانتهاكات بحق الفلسطينيين على أنها طبيعية، تسعى إلى تحقيق المصلحة العامة للسكان.

يعمل المركز العربي للتخطيط البديل للدفاع عن مصالح واحتياجات الأقلية العربية الفلسطينية في مجالات الأرض والتخطيط والتنمية. وهو يعرف أن الرؤية الإسرائيلية تعتمد على السيطرة على الأرض، وتقليص أي مساحة جغرافية للعرب في فلسطين. ويغي المركز تماما أهمية سياسات التخطيط داخل إسرائيل التي تشمل مصادرة الأراضي، وتقييد مناطق نفوذ القرى العربية لنح توسعها، ونشر المستوطنات على الأراضي المصادرة، وهدم بيوت الفلسطينيين، وتقديم أي مشروع انمائي اسرائيلي بتخطيط يؤدي إلى احداث أكبر ضرر للسكان الفلسطينيين ومناطق تواجدهم، كشق الطرقات الرئيسية على أراضي القرى العربية الخ..

يشير التعريف بالركز على موقعه الالكتروني أنه يحرص على مساعدة الفلسطينيين على صياغة اعتراضاتهم بطريقة مهنية وبمستوى متخصص، ويوفر ذلك من خلال مجموعة من المهندسين المتطوعين وخبراء التخطيط، وبالإضافة إلى العمل على طلبات الاعتراضات المقدمة من قبل الفلسطينيين، يقوم المركز بعقد ورشات عمل وتدوات لتوعية الفلسطينيين بحقهم في الرض والاعتراض على قوانين ومشاريع حكومية قد تؤدي إلى إلحاق الضرر بهم. يقوم العاملون في المركز بمراقبة كل قرارات سلطة التخطيط التي تخص المواطنين العرب والتي تؤثر على بلداتهم، ويعمدون إلى تعيين ممثلين عنهم في أطر النزاع، واعلام السلطات المحلية والمتضررين من هذه القرارات للمباشرة في تحضير اعتراضات للمخططات القائمة، وتحضير مخططات وحلول بديلة، فيحسب المركز، تمتد لجان التخطيط الإسرائيلية إلى تقديم مشاريع تنموية تكون غالبا على حساب الفلسطينيين ومصلاحهم وتندرج بان أي تخطيط بديل غير متاح لتنفيذ المشروع، وبأن اراض يجب أن تصادر وبيوت يجب أن تهدم من أجل تنفيذها. يفضح المركز عبر تقديم مشاريع تخطيط بديلة هذه المقولات، متسلحا باعتراضات المتضررين القانونية التي ترفع على اللجان المختصة بإعادة النظر فيها. على الموقع الالكتروني، يمكن العثور على عدد كبير من المشاريع التي تمكن العاملون في المركز من إيقافها، ومنع هدم بيوت فلسطينية ومصادرة أراضيهم، لكن تبقى إحدى أهم الإحتجاجات التي تمكن المركز من تحقيقها، هي فضح خطورة مشروع براف الأخير، والمساهمة في رفع الوعي لدى الفلسطينيين بضرورة التحرك لمواجهة وإسقاطه. نظم المركز عدد كبير من المحاضرات والندوات، شارحا أبعد المشروع، وعقدت اجتماعات بين التخصصين في مجال التخطيط في المركز والتاشطين الشباب، الذين نزلوا إلى الشوارع رفضاً للمشروع وتمكنوا من تبسيط تعقيدات المشروع المرادغة. منذ العام 2012 قام المركز بالتعاون مع مؤسسة أريج باصدار مجلة الكترونية تسعى إلى نشر ثقافة الاعتراض في مواجهة قوانين التخطيط المنتهكة لحق الفلسطينيين. على الرغم من ذلك، يبدو واضحا من خلال غياب أي اثر أو حركة للمركز على مواقع التواصل الاجتماعي، بأنه لا يزال يعتمد على الأساليب التقليدية في التسويق لهذا النوع من المقاومة.

فكرة

جثة في سجن.. أو من شبك

يوم السبت الماضي، أتم الشاب المصري محمد سلطان يومه 300ال في إضرابه المتواصل عن الطعام الذي فقد خلاله 70 كيلوغراما من وزنه. وما بين الرقمين، حطّ عيد ميلاده 27ال الأسبوع الماضي أيضا. وهو في مكانه: السجن، وهذا عيد ميلاده الثاني وهو هناك. قصّة محمد بدأت معروفة، لا جديد فيها سوى أنّ الشاب يوما بعد آخر يقترّب أكثر وأكثر من الموت. تضمحل مساحته في الصور التي تخرّج في تواريخ مختلفة. ولم يكن آخرها صورته وهو ممدد على سرير المستشفى ويده مكبّلة بسلاسل حديدية، وربما سبب تكبيله خوف من هربه أرسل محمد رسالة من سجنه، في ذكرى مولده. قال فيها: «هذا الكابوس الكئيب المظلم الذي حلّ بي فجأة ولا أعلم كيف، ولا كم مدوم، ولا متى أو كيف سينتهي؟». جعله من قبل السلطات إذلال مفضود. جوابه على هذه المعاملة أنه يملك «جثته»، فيتصرف بما يملك. والضحك (هل هو مضحك فعلا؟) أنّ السلطات تروج عن طريق مطبليها في الإعلام أنّ هؤلاء ينتحرون لإحراجها، أي كبروفغندا ضدها! هل كان هناك من يتوقع مثل هذا الإسفاف العصافي؟

قبل يوم واحد من دخول إضراب محمد اليوم 300، أقدم المواطن المصري أشرف صابر صليب على شنق نفسه من شبك بيته تدلّت جثته من شبك مبني في الطابق الأول من مدينة العاشر من رمضان في محافظة الشرقية، بعد أن علق رقبته بحبل برتقالي اللون، وفضّز من النافذة ليتحوّل مادة لكاميرات أهالي الحي ومن حضر للمشاهدة، إلى أن تبرّع أحدهم بتغطية الجثة بشرف أبيض.

تعددت الروايات حول سبب إقدام الرجل على الانتحار، لكن الجامع بينها هو وضع مادي صعب وعمل باجر زهيد في شركة لأجهزة الكهربائية وعائلة وأولاد.

هذه هوم يومية يصادفها كثيرون، لا سيّما في مصر، وهذا يحيلنا سريعا إلى شهر أيلول/سبتمبر الماضي الذي كان الأعلى مصرياً في معدلات الانتحار: 18! وسجلت محافظة المنيا في صعيد مصر 6 حالات لودعها.

.. وتحضر جثة فرج رزق. تفرض نفسها بمجرد الحديث عن انتحار وجثة متدلّية، فالرجل أقدم على شنق نفسه على أعلى لوحة إعلانية بعد أن أوقف سيارته على طريق رزق الإسماعيلية وشنق نفسه على اللأ.

ضجّت مصر بالخبر، ليعود ويطوى كحال كلّ شيء. «جثة» محمد سلطان، المعتقل السياسي، التي تصفرّ تباعا تحت أعين القاضي، تتماهى مع جثة أشرف وفرج. أوجه شبه كثيرة تجمع بين الجثث الثلاث. ومن المهم التأكيد على أنّ جثة محمد تُملّ (ولو رمياً) جثث 156 معتقلاً سياسياً آخرين مضربين عن الطعام تحت عنوان: «الموت لنحيا، و«الحرية للجدعان» المتحرّجون يعلنون التوفّق عن محاولة العيش، بينما محمد ورفاقه ما زالوا يحاولون، يضعون «جثثهم» على خطّ الموت لعلمهم يكسبون الحرية ليحاولوا بدورهم العيش. محمد ورفاقه ميتون مع وقف التنفيذ إلى حين. أشرف وفرج أنهما وهما يحاولان فانتهاها معلقين فوق المدينة.

أشياء احتضر، وأشياء علّقت في العنن، وأشياء على الدرب سائرة.

زينب ترحيني

صحافي من موريتانيا

1500 طفل قضاوا في مخيمات النازحين بعد أحداث حزيران/يونيو الفائت وسيطرة تنظيم «داعش» على مدينة الموصل، بحسب ما كشفت عنه مفوضية حقوق الإنسان، فيما قالت مساعدة الأمين العام للأمم المتحدة للشؤون الإنسانية إن 700 طفل عراقي قتلوا وشوهوا، مشيرة في الوقت نفسه إلى أن نصف النازحين هم من الأطفال.

الجزائر تحثي بالمخلص الفرنسي «رينو»



(من الإنترنت)

توتال، مثلا، كانت تنتج في ليبيا 12 في المئة من مجمل إنتاجها الإفريقي؟ بل إن تدخل الناتو في هذا البلد كان في حد ذاته «استثمارا في المستقبل» كما قال وزير الخارجية الفرنسي السابق، آلان جوبيه، بمنتهى الصراحة في آب/أغسطس 2012.

ياسين تمللي

صحافي من الجزائر

الحسابات صحيحة من دون شك على المدى القصير، خاصة أن فرنسا لا تزال بحاجة إلى حلفاء إقليميين التحرك في مالي والنيجر (وهذا ربما ما يفسر حضور وزيرين فرنسيين حفلت تشييدهم مصنع بهذا الحجم الصغير). لكن حسابات النظام خاطئة على المدى المتوسط والبعيد. من لا يذكر أن حكومة ساركوزي ضحت بالقدافي رغم ما كان في التصحية به من مغامرة بالاستثمارات الفرنسية في ليبيا (الشركة البترولية

عُمان ولا مصر يمثل أهمية فرنسا في منظومة العلاقات الخارجية الجزائرية، وهي منظومة تحكمها الرغبة في نيل رضا باريس رغم كل التصريحات الثارية ضد «الاستعمار السابق». وتدور على النظام الجزائري، في النظر الإقليمي الدقيق الحالي، أعراض عدم أمان كبير ما لم ترض عنه باريس. ففي رضاها، كما يتصور هو، رضا حلف شمال الأطلسي، وفي انتشارها في الجزائر اقتصاديا ضمانة بعدم تحولها إلى عدو لدود. هذه

هذه السيارة بسرعة مستوى تكاملها الحالي، أي 17 في المئة، مع العلم بأن أقصى ما خطط له في هذا المجال هو 40 في المئة في 2018. كل هذه العناصر التي مرت عليها الصحافة الرسمية مرور الكرام تشير إلى أن بناء هذا المصنع أشبه بعملية «وضع يد» على السوق الجزائرية قامت بها الشركة الفرنسية خوفا من قدوم منافس لها إلى الجزائر. ويزيد هذا الاحتمال واقعية أن إحدى مواد العقد تلزم الطرف الجزائري بعدم إبرام أية شراكة مشابهة مع أي مستثمر آخر، وذلك طيلة 3 سنوات. ويجدر التذكير هنا بأن واردات الجزائر من منتجات رينو تمثل 18 في المئة من وارداتها السنوية من المركبات الجديدة بكل أنواعها (101.472 سيارة من مجموع 554.269 في 2013). يجدر التذكير أيضا بأن السلطات الجزائرية، بالتوازي مع مفاوضاتها مع هذه الشركة، فاوضت الألبانية فولكسفاغن على إنشاء مصنع تجميع لمركباتها على التراب الجزائري، ولا شك في أن هذه المحادثات الوازية، التي لم يخف سرها على أحد، سرعت قرار الشركة الفرنسية بفتح خط إنتاج لها على التراب الجزائري.

وليس مستبعدا، بطبيعة الحال، أن يتطور مصنع رينو الجزائري فيزيد إنتاجه بل ويصدر جزء منه إلى بلدان في ساحل الصحراء (ما أشار إليه مؤخرا برنار سوتيهلاك، الرئيس المدير العام لفرع رينو في الجزائر). لكن هذا الأفق اليوم أكثر من غائم. بالمقابل، ما هو واضح جلي هو أن ما أحيط به من حفاوة أقرب إلى السياسة منه إلى الاقتصاد. فعدا إيهام الرأي العام بأن لديها مشروعا لبعث الصناعة الوطنية، تسعى الحكومة إلى إقناعه بأن النظام الجزائري مدعوم من طرف قوي كنريسا، رغم أزمة خلافة بوتفليقة المحتدمة والاضطرابات التي تهرأ أرجاء شمال أفريقيا منذ 2011.

الفرنجي برنجي؟

هل من الضروري الإشارة إلى أن الوزير الأول، في يوم تشييد هذا المصنع - وفي ولاية وهران نفسها - زار مصنعين كيميائيين كبيرين جديدين أولهما نتاج شراكة بين البترولية المومبية سونواتراك (49 في المئة) ومجموعة بعوان العُمانية (51 في المئة)، وثانيهما نتاج شراكة يتناسب الأنسب نفسها بين سونواتراك والمصرية أوراسكوم للإنشاءات والصناعة. ورغم أن الاستثمار فيما كلف، على التوالي، 2.7 مليار دولار و1.6 مليار دولار على أقل تقدير - أي ما يعادل 68 مرة كلفة الاستثمار في مصنع رينو - لم يحظيا بالاهتمام الإعلامي نفسه. والحقيقة أن لا غرابة في ذلك، فلا

دشن الوزير الأول عبد الملك سلال في 10 تشرين الثاني/نوفمبر 2014، مصنعا لسيارات «رينو» سامبول، في وادي تليلات (ولاية وهران). هو ثمرة شراكة أبرمت في كانون الأول/ديسمبر 2012 بين الشركة الفرنسية رينو (49 في المئة) من جهة، والشركة الجزائرية للمركبات الصناعية والصدوق الوطني للاستثمار (51 في المئة)، من جهة أخرى. وحضر حفل التشييد وزيران فرنسيان هما وزير الاقتصاد إيمانويل ماكرون، ووزير الخارجية لوران فابيوس، وتعاملت الصحافة، خاصة الرسمية منها، مع هذا الحدث على أنه معلم فارق في تاريخ الصناعة الوطنية. ولم يكن هذا الاحتفاء سيفاجأ أحدا لو كان المصنع في مثل أهمية مصنع رينو في طنجة المغربية (180 ألف سيارة في 2014 بحسب التوقعات و400 ألف سيارة سنويا على المدى المتوسط). ذلك أن المصنع الجزائري لن ينتج سوى 25 ألف سيارة سنويا في مرحلة أولى، ولن يتجاوز سقفه الـ 75 ألفا في مرحلة لاحقة، كذلك، لم يمكن من إنشاء أكثر من 350 منصب شغل مباشر (مقابل 2200 بالنسبة لنظيره الغربي). ولم يتجاوز الاستثمار المحقق له لحد الساعة 62 مليون دولار (مقابل 700 مليون دولار في مصنع طنجة).

اقتصاد أم سياسة

وبدلا من تقبل حقيقة هزال هذا «الاستثمار»، فضلت وسائل الإعلام الرسمية الحديثة عن استثمارات مرتقبة في مصنع وادي تليلات، مقدمتها عنما صورة شبه خيالية: 800 مليون دولار سيحصل بفضلها إنتاجه إلى 150 ألف وحدة سنويا. وسواء أكان هذا التفاؤل مصطلعا أم صادقا، بدا غريبا في سياق اقتصادي دولي أقل ما يقال عنه أنه شديد الارتباك، وفي سياق سياسي فرنسي يطعمه شح مصادر التمويل والجدل حول توالي إغلاق المنشآت الصناعية، وهو جدل لم يسلم منه مصنع رينو في الجزائر حيث وصفت رئيسة اللجنة الوطنية الاقتصادية اليمينية، مارين لوبان، حضور وزيرين فرنسيين تشييده بأنه أمر «بذيء» في وقت تتخلف فيه أبواب المصانع الفرنسية، ويطرده العاملون فيها. وزاد من حدة الطابع السوربالي لهذا الاحتفاء بمصنع رينو كونه لم يحقق بعد وعده بتشكيل شبكة من المانوالين المحليين، إذ لم يتجاوز عدد من فُتلت عروضهم لتصنيع بعض مكونات الجزائرية شركتين اثنتين (جوكيتال ومارتال) من أصل 113 اعتُبرت مؤهلت أغلبيتها الساحقة غير كافية مقارنة بمعايير الجودة الخاصة بالشركة الفرنسية. وبالتنظر إلى هذا الوضع، من العسير أن تتجاوز

غرام الدولة بممتلكاتها .. عبادة الملكية في مصر

تضمن المواد التالية: «عقوبة السرقة أو الاستيلاء على، أو اختلاس، أو سائر أنواع التلاعب بملكية الدولة هي الاعتقال في معسكر عمل إصلاحي لمدة تتراوح بين سبع وعشر سنوات، مع أو بدون مصادرة الأملك. عقوبة اختلاس ملكية الدولة للمرة الثانية - بالإضافة إلى الاعتقال في معسكر عمل منظمة أو على نطاق واسع - هي الاعتقال في معسكر عمل إصلاحي لمدة تتراوح بين عشر سنوات وخمس وعشرين سنة، مع مصادرة الأملك».

كل ذلك في مقابل «التسامح» مع جرائم القتل والاختطاف، من قبيل ما تنص عليه المادة 138 من القانون الجنائي السوفييتي «لقتل العمد المرتكب تحت الدفاع المفاجئ لهياج عاطفي قوي ناتج عن العنف أو السباب الفاذع من جانب المقتول، يؤدي إلى الحرمان من الحرية لفترة قد تصل إلى خمس سنوات، أو العمل الجبري لمدة قد تصل إلى عام واحد»، وما تنص عليه المادة 147 من «حرمان أي شخص من الحرية بشكل غير قانوني باستخدام القوة، يؤدي إلى الحرمان من الحرية أو العمل الجبري لمدة قد تصل إلى عام. حرمان أي شخص من الحرية بأي طريق تشكل خطرا على حياته أو صحته أو تسبب له ألاما بدنيا، يؤدي إلى الحرمان من الحرية لمدة قد تصل إلى عامين».

بالطبع لا يمكن التغافل عن الاختلاف بين النصوص المصرية والسوفياتية سألقة الذكر فيما يتعلق باهتمام الأولى في الأساس بـ«تخريب» الممتلكات في المقام الأول في مقابل اهتمام الثانية بجرائم الاختلاس والسطو في الأساس. لكن الجوهر يبقى واحدا، وهو إضفاء القداسة على الممتلكات من قبل طرف يستعين بحياة البشر.

بيسان كساب

كاتبة صحافية من مصر، متخصصة بالاقتصاد

الشرطة وشركة «فالكون» الخاصة التي استعانت بها الحكومة لـ«حماية» الممتلكات في الجامعات من أصحابها الأضلاع. وخلال مواجهات مفتعلة تبادر فيها الشرطة لواد أي احتجاج باستخدام درجة من العنف المنفلت، تلقى القبض على أعداد غفيرة من الطلاب وتقدم بعدها - هي نفسها - مذكرة تحريات أمام النيابة العامة تتضمن «شهادتها» عن مشاركة الطلاب العنقلين في محاولة تخريب المنشآت، والتي يفترض أن الشرطة انقذتها من أيدي المخربين الصغار، وهلم جرا...

مقارنة مع زمن ستالين

وفي هذا السياق، لا يمكن تجاوز التشابه مع روسيا الستالينية حسيما رصدها توني كيف في مؤلفه الأشهر «راسمالية الدولة في روسيا». استعرض الباحث بأسهاب تحت عنوان «خضوع الإنسان للأملك»، عددا من النصوص القانونية تتضمن عقوبات قاسية جدا على أي اختلا بجمرة هذه الممتلكات في مقابل تساهل نسبي مع جرائم القتل والاختطاف، سألخرا من هذا التوجه بقوله «من الغريب أنه رغم أن الشعب، من خلال الدولة، يمتلك ثروة البلاد، إلا أن الدولة الروسية عليها أن تتخذ إجراءات فوق العادة لكي تحمي هذه الثروة منه». وتستند دراسته إلى قانون صادر في 7 آب/أغسطس 1932 «حول حماية ملكية مشاريع الدولة والمزارع الجماعية والتعاونيات ومؤسسات الملكية الاشتراكية، فإن سرقة أملاك الدولة والكولخوزات والتعاونيات والسرقة على خطوط السكك الحديدية والمجاري المائية يعاقب عليها بالإعدام رميا بالرصاص مع مصادرة كل الممتلكات. وإذا وجدت ظروف مخفية، فإن العقوبة المستحقة تكون السجن لا يقل عن عشر سنوات ومصادرة كل الممتلكات». كما استند إلى قانون صادر في 4 حزيران/يونيو 1947. اصدر مرسوم حول «اختلاس ملكية الدولة والملكية العامة».

والكباري وغيرها من المنشآت والمرافق والممتلكات العامة وما يدخل في حكمها، وتعد هذه المنشآت في حكم المنشآت العسكرية». وبموجب القانون الجديد، تحال الجرائم التي ترتكب ضد هذه المنشآت إلى النيابة العسكرية الجديد، مثله مثل قائمة طويلة من القوانين، عبر مرسوم رئاسي في غيبة برلمان منتخب. لكن المثال الأبرز على الويع بالممتلكات هو المادة رقم 90 من قانون العقوبات التي تعاقب بالسجن «مدة لا تزيد على خمس سنوات كل من خرب عمدا مبانئ أو أملاكا عامة أو مخصصة لصالح حكومية أو للمرافق العامة أو للمؤسسات العامة أو الجمعيات المعنية قانونا ذات نفع عام... وتكون العقوبة الأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة إذا وقعت الجريمة في زمن هياج أو فتنة أو بقصد إحداث الرعب بين الناس أو إشاعة الفوضى، ويضاعف الحد الأقصى للعقوبة المقررة في الفقرة الأولى من المادة 90 إذا ارتكبت الجريمة تنفيذا لغرض إرهابي». وبموجب هذه المادة، يمكن بسهولة محاصرة شهداء ثورة كانون ثاني/يناير بتهم تصل عقوبتها إلى الأشغال الشاقة المؤبدة، على خلفية وقائع حرق أقسام الشرطة أثناء الثورة، وبالذات يوم «جمعة الغضب» أو الفتنة «من وجهة نظر القضاء، الذي منح ضباط الشرطة التهمين بقتل الشهداء البراءة في عددا لا يحصى من القضايا، لا بناء على وقائع تنفي عنهم اطلاق الرصاص، بل باعتبارهم كانوا في حالة دفاع «شرعي» عن تلك الممتلكات العامة!»

هذا الاقتراض ليس نظريا. فصحيح أن الشهداء (لحسن حظهم) قد قضاوا وافلتوا من تهمة الإضرار الرصاص، بل باعتبارهم كانوا في حالة دفاع «شرعي» عن تلك الممتلكات العامة! هذا الاقتراض ليس نظريا. فصحيح أن الشهداء (لحسن حظهم) قد قضاوا وافلتوا من تهمة الإضرار الرصاص، بل باعتبارهم كانوا في حالة دفاع «شرعي» عن تلك الممتلكات العامة! هذا الاقتراض ليس نظريا. فصحيح أن الشهداء (لحسن حظهم) قد قضاوا وافلتوا من تهمة الإضرار الرصاص، بل باعتبارهم كانوا في حالة دفاع «شرعي» عن تلك الممتلكات العامة!

الوقت الذي كانوا يخطون فيه نطق اسمه أصلا. بدأت الأحداث باعتماد قوات من الشرطة على صبي كان يعتصم مع رفاقه في محيط مبنى مجلس الوزراء احتجاجا على تعيين كمال الجنزوري رئيسا للحكومة وقتها، ثم دهم مدرعة تابعة للشرطة لمعتصم آخر، ثم رشق المئات من المعتصمين لقوات الشرطة والجيش، وانضمام الآلاف لهم لاحقا. ودامت المواجهات عدة أيام، سقط خلالها عدد من الضحايا وشهدت واقعة سحل وتعرية متظاهرة بعد أن فقدت وعيها إثر اعتداء قوات الجيش عليها. شهدت تلك الأيام السوداء احتراق مبنى أثيري هو المجمع العلمي الذي أسسه يونانيرت خلال الحملة الفرنسية على مصر. لم يُقدّم أي من المسؤولين عن مقتل المتظاهرين إلى المحاكمة، ولم يتعرض أي منهم لأي مساءلة، لكن احمد دومة الناشط السياسي حوكم بتهمة حرق المجمع العلمي.

الرئيس الغرم بالممتلكات

رئيس الجمهورية هو احد ممثلي هذا الغرام بالممتلكات العامة. فيعد يومين من احداث العنف في سيناء التي قتل فيها نحو ثلاثين مجندا، لم يصدر السيسي تعليمات ولا قرارات جديدة حيال تشديد تأمين الجنود، ولو بتجهيزات مشابهة لتلك التي يتمتع بها زملاؤه الذين يشاركون في حماية «سيدي ستاران»، أشهر مقاصد التسوق الفاخر في مصر، وهو بناء عملاق يتمتع بتأمين محكم مدهش. عمد الرئيس، كرد فعل على الحداث المسأوي، إلى إصدار قرار بقانون لتأمين وحماية المنشآت العامة والحيوية، يجيز للقوات المسلحة مشاركة جهاز الشرطة في حماية وتأمين تلك المنشآت، على أن يسري هذا القرار لمدة سنتين. وبموجب القانون الجديد تشدد الحماية على المنشآت العامة والحيوية «بما في ذلك محطات وشبكات وأبراج الكهرباء، وخطوط الغاز وحقوق البترول وخطوط السكك الحديدية وشبكات الطرق

«أسكت لأغرك» (فلتصمت ولا طعنك)، قالها الصبي الفقير لشباب من ابناء الطبقة المتوسطة، كان ينحدر من جماعة الإخوان المسلمين قبل أن ينصرف عنها، أو هكذا نضا نقل الصديق ضاحكا الحوار القصير جدا مع الصبي الذي اختار أن يعدهه ردا على رجاه منه ألا يقدم على حرق سيارة بجوار المتحف المصري مساء يوم الأربعاء الثاني من شباط/فبراير (وكان قارصا) من العام 2011.

كان الصبي ورفاقه قد اختاروا حرق السيارات في محاولة لبناء حائط من النار يحمي ميدان التحرير وأرواح الثوار المعتصمين فيه من هجوم ماجورين مؤيدين لنظام الرئيس المخلوع حسني مبارك، لكن الصديق المهذب حاول أن يقنعه بالحسنى بأنه اختار طريقا مذموما دينيا واخلاقيا، من منطلق حرمة الملكية الخاصة. تراجع الصديق عن نصيحته فورا خشية الطعنة النجلاء، خاصة وأنه لم يح عينه المطواة تلمع في جنح الليل، لكنه اعترف بصيحة اليوم التالي في الميدان نفسه بينما كان الجمع يحتفل بالانتصار بأن الصبي كان على حق، وإن غريزته كابت بار للطبقة الوسطى من ناحية وللتنظيم المحافظ من ناحية أخرى، انحرفت كالعادة حتى في الطرف الحالك، لتحمي «حرمة» الممتلكات ولو كان الثمن هو البشر.

الدولة تتباكي

ثلاث سنوات من عمر الثورة انقضت بعدها، لم ينقطع خلالها صباح الدولة ونحيبها على ممتلكاتها الغابرة المحترقة في «جمعة الغضب»، في 28 كانون الثاني/يناير من العام 2011. وأعدت الطبقة الوسطى رجوع الصدى من خلف الدولة الجريحة، ولعله من سخرية الإقدار، استرجاع خطاب التباكي على المجمع العلمي بعد حادث احتراقه (ضمن ما عُرف إعلاميا بـ«أحداث مجلس الوزراء» في كانون الأول/ديسمبر من العام 2012) من قبل أعضاء المجلس الأعلى للقوات المسلحة - الحاكم وقتها - في

دفاعاً عن الهوية الإسلامية



أشار عليّ أحد حراس الهوية أن الخطأ كان تنازلنا عن التكنيك، وقال لي، أنت رجعت من ميدان المعركة لكي تظلمني على الهوية. لا مكانك هناك، اذهب هناك ولا تعد أبداً. الهجوم خير وسيلة للدفاع. رنت كلماته في عقلي، وبسكت سلاحني الألي للمرة الثانية، ومضيت في الشوارع أطلق النار على جميع الناس وأنا أسألهم أين أخفوا الهوية؟ ولم يرد علي أحد لأنهم كانوا يموتون، ولو كانوا أحياء لما استطعت سماعهم لأنني أيضاً مت. لست نادماً ولا حزناً. يكفي أنني فعلت ما أقدر عليه. وأناشد الهوية في أي مكان تكون فيه الآن أن تخبرنا أنها راضية عني، وحظاً أسعد إن شاء الله في المرات القادمة.

بالسلاح، لأن الهجوم هو خير وسيلة للدفاع. وبينما نحن في الطريق، رن تليفوني، وكان واحد من حراس الهوية يتكلم، أخبرني إن ماسورة مياه انفجرت تحت أقدامه، وإن خشب الصندوق تشقق. قلت له ما المشكلة، فالهوية مغطاة بالنابولن. فقال إن المشكلة إن الهوية أيضاً تسيل من داخل النابولن. قررت الرجوع فوراً، وأمام عيني رأيت الهوية وهي تتسرب وتختلط بالمياه النفجرة، حاولنا للمتها بحرص ولكنها كانت تتسرب من بين يدي. أخذت أضربها بالنار لأعديها داخل الصندوق ولكن الطلقات كانت تصيب ماسورة المياه فتتسرب الهوية أكثر. ارتبكت تماماً.

قررنا النزول إلى الشوارع يوم 28 تشرين الثاني/نوفمبر. سألنا أنفسنا، ما أصل الموضوع؟ قالوا لنا: 25 يناير؟ بناير؟ طيب مرسى؟ قلنا لهم لا. أصل الموضوع هو الهوية الإسلامية. نحن نحارب دفاعاً عن الهوية الإسلامية، وانتفخت عروقنا ونحن نصرخ: «سنخرج للدفاع عن الهوية الإسلامية». ولكن كان لا بد لنا من الحفاظ على الهوية الإسلامية قبل النزول إلى الشارع. استأجرنا أمر النجارين وصنعوا لنا صندوقاً خشبياً محكماً. لفنا الهوية بالنابولن لحمايتها، ووضعنا جهاز إنذار داخل الصندوق، ووضعنا على الصندوق حراس هوية مشهورين ومعتمدين. ثم قررنا النزول



معنى الحرية ومجازاتها

فاض في العقود الأخيرة الحديث عن الحرية، قبل أن يتوثب جيل جديد من المخرجين يعطرها والمأخوذين بشفاعتها للموت في سبيلها، محاولين استنابات غراسها وأغزاقها وفساتلها، وريهم بما لا يستوجب: دمهم. وأمست ملاذاً أخيراً للشعوب فقدت صوتها ولغتها وكرامتها. وتكافح بدماء أبنائها وحناجرهم لاستردادهم بعدما أدركت بما يشبه اليقين، أنها وحدها من يتوجب عليه حكم أرضها - أرض البشر - وهي وحدها مسؤولة كذلك عن سبابتها اليقيني وعبوديتها، مغلماً هي مسؤولة عن الاستيقاظ وإطلاق مبادرة الحرية من أقفاصها. وفي ذكر الحرية، يعبر اسم الكواكبي كينزك يشطر دمس ليل العبودية الطويل ويضيئه في أن.

تفاجاً فريق السينمائيين السوريين، الذين عملوا في العام 1997 على فيلم يتضمن بعضاً من سيرة الكواكبي الذي اختتمت حياته على عجل في القاهرة بكأس قهوة مسموم بمقهى «إستنبول» الجاور لحي «العبئة»، بضريحه المحطم في مقبرة حي «باب الوزير»، تمهيداً لإقتلعه وتحويل المقبرة برمتها إلى استملاك خصوصي يحيلها منشأة تجارية أو عمارة سكنية. ثم تأسس في مدينته حلب عام 2004 منتدى حمل إسمه: «منتدى الكواكبي»، لم يكد يجبو حتى جرى تهشمه، وتوقف مجموعة من المبادرين إليه قبل إحالتهم إلى المحكمة العسكرية، لتتكفل بانتزاع اسمه الماجد وكلمات كرزاته في المعنى الذي افتقدوه منذ دهور، وعملوا على غرسه في أرض الجذب.

في الوقت والمكان عينهما، كان محمود غول أغاسي المعروف بأبي القفص، يصول ويجول مع جماعته في أطراف المدينة الأزيمية ويوزع أتباعه، خطبه، منشوراته وإفتاءه، أمام مرأى أجداد من قاموا بالقدر بمعنى الكواكبي، وكثف إلى كثف معه، ينتشر تنظيم «القبسيات» ليعيد المرأة، كما المجتمع الذي تحيا فيه، قروناً إلى الوراء. انطلقت في الفضاء الإلكتروني، بعد لهب البوعزيزي العالي عام 2010، مبادرة أخرى حملت اسم «أحفاد الكواكبي»، ليزورها الرعب ومتمماته، قبل أن يهجم الباقون من مناضليها في أطراف الأرض الواسعة. في أيام الثورات، تسمى الشعوب الغزاة لجعل كل شيء سلاحاً، من حجارة الشوارع إلى مؤلفات الماضي، فأحييت على عجل أشعار أبو القاسم الشابي، وخطب عبد الله النديم وأغاني الشيخ إمام وكلمات الكواكبي... لتنتقل بها الحناجر، وتدون على القصاصات الورقية التي توزع في الشوارع، وكأنه إحياء شعبي لأحداث تلك القافلة الجيدة لم صمت أضرحتها، وزلزلة حجارتها الثقيلة. وحسبت لفرط براءتها، أنه يكفي رفع أذكار الحرية حتى يتعدى الاستبداد ويتقوض، أو يتخلى عن بهائمته ويتروض.

بقيت الشعوب المغلوبة، التي بدأت وريداً تترك يقظتها، محاصرة بأحبال العبادات، ولا تلبث أن تقع بها كما وقع أجدادها الفلاحون في شرك المربين. واقتنعت بخفة كلام القادة الجدد، بأنه يكفي التخلص من الطاغية حتى يتم التخلص من الطغيان. ما يزال يتخبط النقد نحو الطغاة المعاصرين والسابقين، ليتجنب نقد الطغيان، أي نقد الأسس السياسية - الحقوقية لإنبات بطانها، فضلاً عن الأسس المادية، الاقتصادية والاجتماعية التي تتكفل بإنتاج سلالات الطغاة وتحميمهم. وكان من يفعلون ذلك، يعلم أو جهل، يسوقون الطغيان ويجتزون له السوغات، كما يسوق غيرهم السلع منتهية الصلاحية.

عمل رهط من كتاب الوعظ على الشعوب المغلوبة، على ضرورة تحمل طغاتها وتفهم الشروط التي يصفونها تارة بـ«العقدة» وطوراً بـ«الشائكة» التي تقيدهم وتحول دون إنجاز وعودهم، كما تحملوا ويتحملون أحوال الطغاة والجناح، ليتحول الطغيان والعبودية، عندهم، إلى أقدار طبيعية ليس منها فكاك، إلا بتغيير مكان الإقامة والتحرر من جغرافيا العبودية، هم عينهم من لا يكف عن إطلاق الجدلية المرعبة من عقابها، جدلية الصفر واللانهاية، أي الحفاظ على الوضع السائد أو الفوضى، وكأنها مبرة جامعة للطغاة وأدواتهم الأيديولوجية، وقد بات الطغاة يتفخرون في ما بينهم، أنه أمس بابكانهم أخذ شعوبهم العطلشى إلى البحر، وإعادتها كما ذهبت، على جفاف عروقها.

ولد عبد الرحمن الكواكبي في مدينة حلب 1854، مركز الولاية العثمانية الذي امتد من شواطئ البحر المتوسط غرباً إلى حدود ولاية الموصل شرقاً، ومن تخوم حمص جنوباً إلى حدود ولاية ديار بكر شمالاً. وضمت في جنابها جماعات واضحة التمايز في لغاتها وأصولها: الترك والعرب والكرد والأرمن والسريان والتركمان والشركس. شهدت الولاية، قبل ولادة الكواكبي، ثلاثة أحداث لها دلالاتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية: قومة أهالي حلب على الوالي خورشيد باشا العثماني في 1819 - 1820 ونهايتها المساوية، حملة إبراهيم باشا على بلاد الشام في 1843 والتدخل الغربي الذي عمل على إحيائها، قومة حلب في 1850، بما حملته من تداعيات طائفية يمكن اعتبارها بعضاً من الآثار القريبة للردود التعبوية الأيديولوجية المرتكزة على الكسور الاجتماعية (الطائفية - الجوية)، على فشل حملة إبراهيم باشا وضاميتها التحريية والوحدوية.

ليست مصادفة البتة أن يكون تأجيج الصراعات الأهلية، في سيرورتها حروباً أهلية مفتوحة ضربت المشرق العربي برمته، هو تكامل للرد السلطاني المأزوم (متحالفاً مع الرأسماليات الأوروبية الناهضة)، على المشروع التحري الذي حمل مقدمته إبراهيم باشا، بين أعطاف حملته الحربية، لكن لا يعثر على أثر من تداعيات تلك الوقائع

الحادة في كتاب «طبائع الاستبداد»، كأنه نص أراد تجنب أي انضباط تاريخي أو مساءلة قد تؤدي إلى مهلكة من المهالك التي طالا أضمرها الولاة العثمانيون لخصومهم، ليعمل على توصيل المعنى، «معنى الحرية» وضرورتها لنهضة الشعوب المغلوبة، متجنباً ما يمكن أن يراه فخاً مضمر.

مارس حيال الطغيان طريقة في العائنة تشبه العائنة في علم الأمراض، فتكلم عن الحرية بتعابير علاجية «أصل الداء هو الاستبداد السياسي، ودواؤه دفعه بالشورى الدستورية»، وكأنه أسير الأطروحة الراجحة في الأوساط النخبوية وقتها، التي استقوت بمدونات الدساتير المكتوبة على الاستبداد المنفلت من عقابه، لتطوقه وتحاصره بها.. «الاستبداد صفة للحكومة المطلقة العنان فعلاً أو حكماً، التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء بلا خشية من حساب ولا من عقاب محققين». لم تكن الغاية عند الكواكبي، مقتصرة على محاولة فهم الاستبداد وتفسير أسبابه فحسب، بل حملت في ظاهرها وعقبها نقداً حاداً تتخاذه الشعوب المستعدة لتسليم مصانرها للطغيان والرقاد في أحضان طاعته.. كأنه بذلك يسترد مقال «العبودية الطوعية» وقلق أسئلته التي كتبها الفرنسي الذي رحل شاباً، إيتيان دولا بويسي (1530 - 1563)، في سرد أنيق، تعالَى أحياناً يصراخ مجازف ضد العبودية. كيف يستطيع الطغيان القيام على الأرض والثبات فيها، كان الشرور كلها لا بعضها وكل ما في الممالك من حفلات، تتجمع حول الطغاة، بفعل انجذاب «طبيعي» مثلما تندفع الأخطا في الجسد نحو الجزء المريض. ما هي محركات السلطة الاستبدادية، وقواعدها الاجتماعية؟ من أين تبدأ شرعيتها، ومما تستمدتها وكيف ستنتهي؟

تعقدت آليات الاستبداد السياسي وأساليب سيطرته عبر شبكاته الأساسية والفرعية، عما كانت عليه في عهد نظام الحكم الذي عاصره الكواكبي. والرجل بقي ابن زمانه التاريخي المحدد، أي زمن الحكم الاستبدادي العثماني في إحدى ولاياته الطرفية. تقدم حاملاً صخرة مشروعه التحريي بأفقه العروبي، ولم تمهله حياته القصيرة (توفي 1902) على إكماله وتبصر ملامح ضعفه واختباره في الممارسة السياسية. وإن كان الروائي الفرنسي «ستندال» قد قدم الجمال كـ«وعد السعادة»، فما هو الكواكبي يسير الهويني خلف «طبائع الاستبداد» وأمامه، ليقدمه للشعوب المضطهدة والمغلوبة بوصفه: وعد الحرية.

عزير تبسيي كاتب من سوريا

ضياء العزاوي / العراق

حلم..



arabi.assafir.com

المزيد على موقع «الأسفير العربي» arabi.assafir.com

- من البوعزيزي إلى زينب المهدي: أيقونة فعل؟ - حسن نصور - هتلونها... مبادرة لتلوين القاهرة - هدير المهدي

- تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi

- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ Assafir Arabi

.. بألف كلمة

الواقع ليس افتراضياً



(خاص «السفير العربي»)



خضير الحميري

عن ذاك الحي

استبدلتنا الأحياء التي نلقنها بأخرى تركية ولبنانية وأردنية. لا شيء يعوض ذلك المكان الذي ولدنا وترعنا فيه. من الصعب جداً أن تحل مدينة تركية محاذية لمدينتنا السورية وتأخذ مكانها، حتى مع هذه الظروف القاسية، يبقى لشوارع وحارات بلدنا عبقها الذي يميزها، قسطها وناسها وعالها وضجيجها وصخبها. حتى الكره الذي تكنه للبائع الجوال الذي يتنادى على رزقه بشكل مزعج، يختلف كثيراً عن حالة مشابهة تحدث في تركيا. أنت غريب هنا، قلة هم من يتحسسون وجودك في حال حدث لك مكروه. ليس لك أهل وناس ممن تعودت أن تستمع لحكاياهم. قد يبعثون إليك برسالة على هاتفك، تنقل معها قليلاً من الطمأنينة بأن هنالك مرحة على الرغم من الموت الذي قد يصيب في أي لحظة. سألني صديق، كيف هي الغربة؟ لم يكن عندي جواب شاف فأنا نفسي ما زلت أتعلم. أتعلم أن المودة والإخلاص مع الناس هما ما يمكن أن يربطهم بعضهم ببعض الآخر. ها أنا أتعلم أن الغربة نفسها تعلم الإنسان أن يبني نفسه، أن يحتاج، وأن يشعر بالجزع ويقساوه الظروف وبالحاجة التي لم يكن له أن يشعر بها في ظروف أخرى، أن يتعلم أن يبني نفسه لترويض وحش غريبته الذي يصارعه كل يوم.

من مدونة «بشر» السورية (الجمعة 21 تشرين الثاني/نوفمبر 2014)
/https://beshrblog.wordpress.com

كشف تسلل

ما حصل بالأوس هو كشف تسلل إن تسلق على ظهر الرياضة، إنها نهاية الكرة الكويتية. تكسدت المهازل التي حصنت منذ القرن الماضي وها نحن اليوم نقطف ثمارها.. كانت الرياضة سلماً للعبور، وكنا نعيش على حافة الأمل. نعم إنها الحافة التي كنا نراها بروج اللاعبين الذين يلعبون لأجل «الفنية» فقط وما تحمله من معان. كان لدينا جيل يلعب لأنه تربي على حب الوطن بلقائم الأول وحب اللعبة بلقائم الثاني، ولم يلعبوا لأي مآرب آخر. هؤلاء الرجال غطوا المهازل وبلاوي الاتحادات المتعاقبة، اللاعبين هم من كانوا يأتون بإنتاج بحماهم وعشقهم. أصحاب الكروش كانوا يقفون على ظهور هؤلاء اللاعبين. ليسوا رياضيين ولا إداريين ناجحين، هم فقط شيوخ لديهم «هواية»، يمارسونها على مستوى دولة. لقد أن الأوان أن نقول كفى، فالرياضة الكويتية ليست بالحمام الزاجل أو رحلة فنس لمارسوا هوايتكم من خلالها. نعم لقد طال السكوت ولكن للمرة الأولى أشاهد هذه الانتفاضة من جميع الرياضيين، فقد طغ الكيل بهم وسعنا تصريحاتهم ليلة أمس ووجدنا الدموع تنهمر من المذيعين، وللمرة الأولى ينتقد المذيع بالتلفزيون الرسمي الاتحاد ورئيسه عبر القناة الرسمية للدولة.

من مدونة «فلاص يا وطن» الكويتية (الجمعة 21 تشرين الثاني/نوفمبر 2014)
/http://kuwait61.blogspot.com

مدونات

موطن الهشاشة..

تفودك إليها طريق صعبة من مدينة مكناس. قبل سنوات قليلة كانت تعيش عزلة حقيقية قبل أن تساهم زيارة ملكية في نفخ الغبار عنها، لكن وعلى الرغم من ذلك، ما زالت تستعمرها الهشاشة في كثير من جوانبها. هي قرية «أيت حسانين»، القرية الأمازيغية الوحيدة بين مجموعة من قرى هذه المنطقة. دق أبنائها ناقوس الخطر منذ عقود طويلة، حتى زارها الملك سنة 2007 وأعطاهم مجموعة من البرامج التنموية: تمكين الساكنة من خدمات الماء والكهرباء، تليط الأرقعة ومد الطريق... إلا أن القرية ما زالت تعاني إلى حد الآن، تتلخص المعاناة هناك في ظروف معيشية غاية في الصعوبة. يستقبلك مع وصولك أطفال يقفون في مزرلة عما يصلح للاستخدام، نساء ينتقلن فوق حمير تحمل أغراضهن البسيطة.. في أرقعة القرية المظلمة، لا تستطيع المنازل إخفاء فقر ساكنها، فهناك من لم يجد غير البلاستيك كي يحوله إلى سقف يقبه قظرات المطر. دركي، أستاذ، مهندس، طبيب.. مجموعة من المهن التي يجني بها تلاميذ القرية أنفسهم، بعدما التقينا بهم وهم خارجون من المدرسة الوحيدة في المنطقة هناك. الكثير منهم لا يعرفون من هو رئيس الحكومة ولا حتى في أي قارة يوجد المغرب، لكن تصميمهم على الدراسة واضح.

من مدونة «اسماعيل عزام» المغربية (الأربعاء 19 تشرين الثاني/نوفمبر 2014)
/http://www.azzami.com